

أهل البيت في مصر

أظننت يا يزيد! أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى، أن بنا هواناً على الله، وأن بك عليه كرامة؟ وتوهّمت أن هذا العظيم خطرك، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان فرحاناً، حين رأيت الدنيا مستوسقة لك، والأُمور متسقة عليك؟ إن الله إن أمهلك فهو قوله: (وَلَا يَحْسَبِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَزْمَاجًا نُمَلِّئُ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّا نَزَّمْنَا نُمَلِّئُ لَهُمْ لِيَزِدَّ دَاوُدَ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) [آل عمران: 178]. أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك بناتك وإمائك، وسوقك بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) كالأسارى؟! قد هُتكت ستورهن، وأصحلت أصواتهن، مكتنبات تجري بهن الأباعر، وتحدو بهن الأعادي، من بلد إلى بلد، لا يراقبن ولا يؤوين، ينشوشن فهن القريب والبعيد، ليس معهن قريب من رجالهن! وكيف يستبطأ في بغضتنا من نظر إلينا بالشنق والشنان، والأحن والأضغان؟ أتقول: ليت أشياخي ببدر شهدوا؟! غير متأثّم ولا مستعظم، وأنت تنكث ثنايا أبي عبداً بمخضرتك؟! ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإهراقك هذه الدماء الطاهرة، دماء نجوم الأرض من آل عبدالمطلب، ولتردن على الله وشيكاً موردهم، وعند ذلك تودّ لو كنت أياكم أعمى وأنك لم تقل: لأهلّوا واستهلّوا فرحاً.. اللهم خذ بحقنا، وانتقم لنا ممّن ظلمنا. يا يزيد، والله ما فريت إلا في جلدك، ولاحزرت إلا في لحمك، سترد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) برغمك، ولتجدن عترته ولحمته من حوله في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم من الشعث: (وَلَا تَحْسَبِينَ أَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عند ربّهم يُرزقون) [آل عمران: 169]. وستعلم أنت ومن بواك ومكّنك من رقاب المؤمنين، إذا كان الحكم ربنا، والخصم جدنا، وجوارحك شاهدة عليك، فبئس للظالمين بدلاً! هنالك تعلم أيّنا شرّ مكاناً وأضعف جنداً! مع أني والله أستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، غير أن العيون عبرى، والصدور حرّى، وما يجزي ذلك أو يغني وقد قُتل أخي الحسين.